جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى /كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

شعر حارثة بن بدر الغداني

دراسة موضوعية فنية

رسالة تَقَدَّمَ بها

ليث سامي علوان الكرخي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة ماجستير في (اللغة العربية وآدابها)

بإشراف
الأستاذ الدكتور

خليل ابراهيم عبد الوهاب

الفصل الاول
الدراسة الموضوعية

المبحث الاول: الموضوعات الرئيسة في شعره

المبحث الثاني: الموضوعات الثانوية في شعره

المبحث الاول

اشعاره بموضوعات رئيسة ، وهذه الموضوعات كانت في نطاق الحياة التي يعيش بها ، فالخمرة وهي اكثر الاغراض التي اشتهر بها فهو كان شاعراً خماراً وكان يجالس الامراء والخلفاء اما المدح فنال حظاً من موضوعات حارثة وهذا المدح كان قصده كسب ود الملك من اجل المال .

اما نقائضه فكانت تولدها الحادثة الآنية الانفعالية واغلبها كانت مع إبن زنيم.

1- الخمر

تعد الخمرة مظهراً مهماً من مظاهر الحياة الاجتماعية في كل العصور , وهذا المظهر إنْ وجد في مكان او بيئة ما فهو دليل على الحيرة والقلق ومحاولة التخلص من امور واعباء ثقيلة ألمت بأشخاص ما في ذلك العصر , فهي تعد وسيلة للتهرب من الهموم في اغلب الاحيان , وفي الوقت نفسه تعد مصدراً وشراباً للطبقة المترفة اجتماعياً .

لغة : خامر الشيء أي قاربه وخالطه [1] , والخمر اصطلاحاً: ((عصير العنب حين يغلي ويقذف الزبد من غير أن تمسه نار , ويظل هكذا حتى يصير خلاً)) [2] .

وفي القرآن الكريم وردت لفظة خمر بمعان عدة منها قوله تعالى : چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ چ [3] , وجاء ذكر الخمر في القرآن الكريم في موضع اخر , ٹ ٹ چ ڳ ڳ ڳ ڳ چ [4] الخمرة هنا نفي وتأكيد , نفي من تشابه خمرة الدنيا مع خمرة الاخرة , وتأكيد على خمرة اللذة الاخروية الموجودة في رياض الجنة ، والعرب ذكروها في قصائدهم واعتنوا بوصفها ووردت في اشعارهم ((من اعجب الامور أن

(1) ينظر : لسان العرب للامام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، دار صادر ، دار بيروت ، د ط ، 1956, مادة خمر .
(2) كتاب الاشربة وذكر اختلاف الناس فيها , ابن قتيبة الدنيوري , تحقيق ونشر محمد كرد علي , دمشق , المجمع العلمي العربي , ط2 , 1947 / 4 .
(3) سورة يوسف / 36 .
(4) سورة محمد / 15 .

يكون الادب العربي من أغنى أداب العالم في الخمرة , مع تحريمها في الاسلام وحلها في غيره من الاديان)) [1] إذ استعملها الشعراء في الجاهلية .

الخمرة هي الوسيلة التي يهرب بها الناس من مواجهة واقعهم النفسي المتأزم وخاصة الشعراء إذ يجدونها الوسيلة الوحيدة للابتعاد عن الهموم , ومنهم من يجد نفسه في راحة تامة ناسياً كل همومه بعد إن صعب عليه نسيانها في الحقيقة فنلاحظ بعض الشعراء قد أغرق نفسه في الخمرة الشعرية فأتخذها ملهماً لشعريته[2].

أَدمن الجاهليون الخمرة , والادمان هذا ادى الى اسرافهم في وصفها , والكثير من الشعراء رسموا لنا لوحات لما شاع وكثر في الجاهلية من تهتك ومجون , ومنهم من أبتدأ قصيدته بالخمرة فأصبحت بمثابة الطلل , ومنهم عمرو بن كلثوم فقد أستهل معلقته بذكر الخمرة فقال [3]:

ألا هبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقى خُـــمـــور الاندرينا

أما الاعشى الذي يعد رائد الشعر الخمري , فقد رسم الاطار التقليدي العام لقصيدة الخمرة في الجاهلية , إذ انه يقول في مدح أَياس بن قبيصة الطائي [4] :

وشمول تحســـــب العين , إذا صفقت , وردتها نور الذبح

مثل ذكي المسك , ذاك ريحها صبها الساقي , إذ قيل : توحْ

(1) مقدمة كتاب الخمريات في الشعر العربي من مطلع الجاهلية الى أبي نؤاس , جميل سعيد , ط1 , مصر , 1945 / 3

(2) ينظر : شعر اللهو والخمر , تأريخه واعلامه , جورج غريب , دار الثقافة , بيروت , ط1 , 1966 / 6.

(3) شرح المعلقات السبع , ابي عبد الله الحسين بن احمد بن الحسن الزوزني , دار الكتاب العربي , بيروت , 2009 / 111 .

(4) ديوان الاعشى : د – عمر فاروق الطباع , دار القلم , 1993 , د – ط / 53 , الشمول الخمرة الباردة التي بردتها ريح الشمال , الذبح – نبت ذو زهرة حمراء وهو حلو يؤكل .

الشاعر يتحدث عن الخمرة ويشبه أزهارها كأنها اصطفت كنبتة حمراء , فتشم رائحتها كأنها رائحة المسك التي تجذب أليها الساقي , ليسقي الناس منها [1].

فالأعشى عشق الخمرة وأبدع فيها أيما ابداع , فلم يترك شيئاً عن الخمرة ووصفها, الا وتحدث عنها .

إنَّ بعض الشعراء تحدث عن صفاتها وطعمها , وفي هذا نجد اكثر من شاعر يتفق على معنى واحد في الطعم ومنهم الاعشى فيقول [2] : من الطويل

وكأسٍ كماءِ النيَّ باكرتُ حدها بغرتها إذ غـــابَ عني بغاتها

شبه الشاعر الخمرة هنا بلون اللحم الذي يطبخ , بعد هذا التشبيه يأتي لون اللحم المشابه للون الخمرة , فالخمرة لها صورة لا تفارق مخيلته ولا يغفل عن لونها وطعمها , فنجد امتزاج الخمرة بالدم دلالة على لونها .

اما عن ابرز خصائص الشعر الخمري فكثيرة , ومنها أن شعراء العصر الجاهلي لم يفردوا لها قصيدة كاملة تتحدث عن أوصافها بوصفه فناً مستقلاً كما هو الحال في بقية موضوعات الشعر العربي , بل نرى الشاعر يتحدث في قصيدة عن وصف تأثيرها , وفي أخرى يتحدث عن مجلسها , وفي الاخرى يتحدث عن الاواني التي تقدم بها الخمرة [3] .

---

(1) ينظر : فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب , أيليا حاوس , دار الثقافة , بيروت , لبنان , د– ط / 11 , 15 , 28 , 45 .

(2) ديوان الاعشى / 42 .

(3) ينظر فن الشعر الخمري / 14 – 15 , وينظر حديث الاربعاء , طه حسين – دار المعارف , مصر , 1968 : 2 / 76 .

إذن الخمرة لم تقف كفن مستقل بحد ذاته كما هو الحال في المديح والهجاء والفخر, وهذا كله بسبب الحياة في ذلك الوقت لم تكن تسمح بذلك لانشغال الشعراء بموضوعات شعرية أكثر أهمية من الخمر [1] .

اما الصفة الاخرى فنجد أن الاشعار مكررة , إنْ لم تكن باللفظ فبالمعنى وتكاد تكون الفكرة واحدة والالفاظ متعددة , فنجد النسخ من شاعر لأخر .

إذن خمرة العصر الجاهلي هي خمرة تقليدية استنساخية ولولا شعر الاعشى وطرفة بن العبد لكانت تقليدية وليست تجديدية .

من حيث الشعر الخمري فقد اصاب الشعر ركود , وهذا الركود ادى الى سكوت الشعراء عن وصف الخمرة , وذلك بسبب تحريم الدين لها على مراحل , وهذه الخمرة تحررت من الخمرة الجاهلية , إذ إنها تحررت من حسيتها ووصفيتها المغرقة وعباراتها المتجهمة [2] , فضلاً عن ذلك إن الخلفاء قد جدوا في تحريم الخمرة وانصرافهم الى نشر الدين الجديد وتعاليمه , وكذلك الى الفتوحات الاسلامية التي عمت العالم , هذا كله أدى الى سكوت الشعراء عن الخمرة [3] , خوفاً وايماناً بحرمتها كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية وكذلك الخوف من الخلفاء , هذا كله ادى الى انحسار الشعر الخمري .

أَما بنو أَمية فنرى عودة الخمريات الى مجالسهم إذ عُنَيَ خلفاء بني أُمية عناية كبيرة بمجالس الشعر , كل هذا أدى الى انصراف الناس الى المشاكل ونسيان الحكم , وهذا كان هدف بني أُمية الذي سعوا اليه , وكل هذه المشاكل التي أوجدها الامويون , أَدَتْ الى ظهور مجالس خمر خاصة بهم , مع علمهم بتحريم الاسلام

(1) ينظر فن الشعر الخمري / 17 .
(2) ينظر : م . ن / 79 , 98 , 170 .
(3) ينظر : حديث الاربعاء , 2 / 76 .

للخمرة , وهذا بسبب الانفتاح الذي شهده العصر الأَموي من عمران وأموال كثيرة واقتناء الخدم والجواري [1] .

ويبرز لنا شاعر من شعراء الخمريات هو حارثة بن بدر الغداني الذي كان داخل دائرة الأسلام وعوتب كثيراً على شرب الخمرة ومعاقرته لها , إلا إنه لم يمتنع عن الخمر فقال في قصيدة له [2] : من الطويل

إذا كنت ندماني فخـــــذها وســـقني ودع عنك من رآكَ تكرعُ في الخمرِ
فإني امرؤ لا اشربُ الخمرَ في الدجا ولكنني أحسُـــو النبيـــذَ من التمرِ
حيـــاً وتقـــىً لله واللـــهُ عـــــالمُ بكلِّ الذي نأتيه في الســـرِ والجهرِ
ومثلُـــك قـــد جربـــتُه وخبرتـــهُ إبا مطر والحينَ أسبابه تجَـــــرَي
حساها كمُستدمي الغزال عتيقـــــةً إذا شُعشـتْ بالمـــاء طيبةَ النشـــر
اقـــام عليها دهِـــــــره كل ليلةٍ يُشافِهُها حتى يرى وضـــــحَ الفجـــرِ
فأصبح ميتاً ميتة الكلب ضحكـــةً لا صحابـــه حتى يُدهـــــدهَ في القبر
فما إن بكـــــاه غير دنَّ ومزهـــرٍ وغانيةٍ كالبـــدر واضحـــةٍ الثغـــرِ
وباكيـــــةٍ كـــــانتْ له خـــدنُ زنيةٍ يُعاقرهـــــا والليـــلُ معُتكـــــرُ السترِ

يحاول الشاعر من البيت الاول المحاورة والمخاطبة ويعلن موقفه من شرب الخمر ويتنادم مع صاحبه ويشربها ويقدمها لمن يجلسون معه , ويعلن ذلك ويشربها علانية ولا يخاف من أحد , ولكنه يشربها وصاحبه الذي يشرب الخمر معه قد جربه واصبح ذا خبرة وتجربة في شربها وهو هنا يكنيه بأبي مطر , ثم يعرج على وصف الخمرة ويصفها بانها كدم الغزال في الاحمرار إذا مزجت بالماء فكانت لها رائحة طيبة , ويقف مع صاحبه فيذكر لنا إدمان صاحبه واحتسائه الخمرة , حتى إنه ليقوم الليل بأجمعه على شرب الخمرة ويبقى على حاله حتى بزوغ الفجر , ويشبه لنا حاله كالميت من شدة السكر ولكن أية ميتة هذه , إنها كميتة الكلب وهي ميتة نتنة ولا يكتفي بهذه الميتة, إذ إنَّه يصبح أضحوكة لأصحابه ومن شدة سكره يكاد يدخل القبر

(1) ينظر : فن الشعر الخمري / 97 .

(2) شعراء امويون : 2 / 352 – 353 , وردت في الديوان تقى ولكن في الاصل تقاً وهو الاصح , وباكية أيضاً وردت في الديوان لكن الاصل وردت وباطية (الاغاني , ج8 / 393 – 394) ، وابا مطر هي كنية ابن ظبيان .

دون أن يكترث له اصحابه ويهتموا لأمره , وما يبكيه سوى اصحابه الذين يحتسي الخمرة معهم وهي المغنية التي يواقعها في الليل الذي يستر كل شيء.

ينتقل شاعرنا الى مقطوعة جميلة , إذ إنه يعد الخمرة مظهراً ورمزاً يدل على الكرم فهي تريح الانسان من الهموم والاعباء الثقال , فاذا ما ارتاح هنا برزت عنده صفة الكرم والحنين والسخاء وتجعله الخمرة اكثر تسامحاً في المجتمع الذي تحدث فيه تغيرات كثيرة , فقال [1] : من الطويل

إذا ما شربتُ الراح أبدتْ مكارمي وجُدْتُ بما حازتْ يداي من الوفرِ

وإن سبني جهلاً نديمـــي لم ازدْ على أشربْ سقاكَ اللهُ طيبةَ النشرِ

ارى ذاك حقاً واجباً لمُنادمـــــي إذا قالَ لي غيرَ الجميلِ من النكْرِ

يبين حارثة أَنَّ صفة الكرم لصيقة بالخمرة , فيوضح لنا إنه كلما شرب الخمرة ازداد كرمه , وتجد اكثر رواد الخمرة ومحتسيها من الكرماء وبحسب ما تجود به أيديهم , وصفة الكرم ليست الوحيدة عند محتسي الخمرة , بل تجد معها صفة العفو والتسامح مع الناس [2] , والتأكيد على قول الجميل من القول وعدم الاساءة لمن أساء اليه , بل يقابله بالإحسان والقول الجميل لصاحبه وإنْ لم يبادله بنفس الكلام يكون تجاوز أخطاء الاخرين والابتعاد عن قول المنكر والاساءة بقول المعروف والاحسان لمن أساء اليك ، حارثة يصف الخمرة وكأنها تعطي الحِكَمُ والمواعظ لشاربها وكأنه يرغّب في الخمرة ويريد من الناس احتسائها .

يبقى حارثة مولعاً بالخمرة وبأوصافها , ومدافعاً عنها إذ إنه قال حينما عاتبه أَبو صخر مخارق بن صخر على الشراب : [3] من الطويل

غدا ناضحاً لم يألُ جهداً مُخارق

يلومُ على شربِ السلافِ المعتَّقِ

(1) شعراء امويون , 2 / 353 .

(2) ينظر : مجالس الخمر في الشعر الاموي , رسالة ماجستير , لجين محمد عدنان , جامعة تشرين , اللاذقية , 2008 / 33 – 34 .

(3) شعراء أمويون ،354/2–355 ، وابو صخر هو أحد بني ربيعة بن مالك وكان شاعراً ، ينظر الاغاني ، 421/8 .

فقلتُ أبا صخرٍ دعْ الناسَ يجهلوا ... ودونكها صـــهباءَ ذاتَ تـــألقِ

تراها إذا ما الماء خالط جسمها ... تخايَلُ في كفَّ الوصيفِ المُنطَّق

لها أرجٌ كالمسكِ تُذهبُ ريْحُها ... عماية حاســـــيها بحُسن ترفقِ

وكم لائمٍ فيها بصيرٌ بفَضلها ... رمتهُ بسهمٍ صـــــائبٍ متزلَّقِ

فظـــلَّ لريّاها يعضُّ ندامــة ... يديهِ وأرغى بعدَ طـــولِ تمطق

فلست ابن صخر تاركا شرب قهوة ... لقول لئيـمِ جـــاهلٍ مُتـــحذلق

يعيب عليَّ الشربَ والشربَ همه ... ليُحْسَبَ ذا رأي أجيل مْصدَّقِ

هذه القصيدة قالها حارثة ((حينما عاتبه ابو صخر على شربه للخمر عندما دخل عليه وقال له : قد أسقطتْ الخمرة قدرك ومرؤتك)) [1] , فرد عليه حارثة بهذه المقطوعة .

إن شاعرنا يُصر على ذكر فضل الخمرة وتأثيرها الساحر في النفوس فيصف تلك الاجواء المخملية وما فيها من لذة للشاربين , كل ذلك رداً على لائميه على شربه الخمرة .

لقد أقترب الشاعر في هذه الابيات من لمسات البيان ولغة الشعر , فعباراته فيها شيء من الرقة , وألفاظه مرصوفة متتابعة بانسياب , أما معانيه فلم تخرج عن دائرة العذل واللوم والوصف المعهود للخمرة , وحثه الناس على شربها فعندما يعاتبه صاحبه أَبو صخر ويلومه على شرب الخمرة المعتقة يرد عليه أَنْ يترك الناس فهم جاهلون للخمرة ولذتها وخذ هذه الخمرة المتألفة بلونها , وعندما يقول تخايل في كف الوصيف , فيصفها وصفاً جميلاً فهي كالخيال لرقتها .

ويكرر وصف رائحتها ويشبهها بالمسك تكاد تعمي من يحتسيها , واستعمل كم الخبرية لبيان عدد اللائمين الذين يرون ويعرفون فضلها , فسهم الخمرة صحيح يرمي

(1) الاغاني : 8 / 421 .

كل لائم يعرف فضلها وينكرها , فيظل هذا اللائم يعض إصبعه ندامة لما وجده من رائحتها الطيبة واستطابة الشيء وتذوق الطعام .

يعطي شاعرنا لنفسه عذراً في شربه للخمرة فأنها تُسلّيهِ وتنسيه همومه وإنها تعينه وهو الذي يصف نفسه (بالمستهام) وهي الهيام ارفع درجات الحب فهو هائم مشتاق , ويعود الشاعر من جديد ليؤكد بانه لن يترك الشراب , بسبب لومه من قبل شخص حاقد يتحذلق في كلامه , وهو يُعاب على شرب الخمرة وهذا همه ليظن انه صاحب رأي سديد وصادق .

حارثة بن بدر شاعر مولع بالخمرة وشربها , وهو لا ينفك يعاقرها ليلاً ونهاراً , وكأسه مُترع منها يعب ما يشاء ليقتل همه ويذهب سقمه , فهي له كالرحيق المعتق , وكأنها ماء الحياة الذي يسري في عروقه .

حارثة الغداني بدا قلقاً من أمر شغل تفكيره واصبح شيئاً لا يفارق مخيلته وعقله وأثر هذا في نفسيته , إنَّه الموت الذي لابد من نهاية الحياة معه وهو إنعدامها .

هذا كله ادى الى قلقه النفسي الذي بدا واضحاً في حياته إذ إنَّ قلقه هذا دفعه الى الخمر التي يعدها المحول الرئيس من القلق الى الطمأنينة , وهذا القلق أدى الى اضطراب في فكر حارثة مما أدى الى تقييد تفكيره واضطراب وتشويش في نفسيته , فجعله هذا أنساناً مريضاً وهذا المرض أدى به الى الخوف من مواجهة الامور البسيطة [1] .

هذه الاضطرابات المحيطة بالغداني والتي كان عليه الاتعاظ منها , ويعرف ان قدره لابد ان يأتيه شاء أم أبى .

(1) ينظر : مجالس الخمر في الشعر الاموي / 65 .

فحارثة بن بدر يرفض أي نصيحة تبعده عن الخمر إذ انه يعلن تمسكه بالخمر فقال [1] : من الطويل

أَذهبَ عني الغمَّ والهمَّ والـــــذي به تُطرد الاحداث شربَ المروَّقِ
فو الله ما انفكُّ بالراحِ مُهـــــتراً ولو لام فيهـــا كـــل حُرٍّ موفقِ
فما لائمي فيها وإن كانَ ناصحـاً بأعلمَ منِّي بالرحيقِ المُعتـــــقِ
ولكنَّ قلبي مُستـــهامٌ بحُبـــها وحـــــبُ القيان رأَي كل مُحمقِ
أحبُّ التي لا أملكَ الدهرُ بغضها وذلكَ فعلُ معجـــــبُ كلِّ أخرقِ
سأشربُها صِرفاً وأَسقي صحابتي وأطلبُ غرَّاتِ الغزالِ المُنطـــقِ

هذا التمسك بالخمرة الذي يشبهه بالحبيبة الهائم بها التي لا يستطيع مفارقتها , وهو يؤكد أنه سيظل عاكفاً أَبد الدهر على شربها , ويريد أَنْ ينسى همومه وهذا النسيان لَنْ يتحقق الا بشربه للخمرة وعدم تركها , فهو يعدها سر وجوده ومبعث راحته وطمأنينته التي يريد منها أَنْ تُغير له مجرى الزمن [2] .

البيت الخامس فيه تكرار للمعنى , فهو في بعضه تكرار لمعنى البيت الرابع (فهو مستهام بحبها) , ويعاب عليه ذكر معنى (البغض) هنا , فكيف يكون من ذاب في عشق الخمرة مبغضاً لها يوماً .

كان حارثة رجل دُنيا يعشق الخمرة ويحب اللهو وكان كثيراً ما يتحدى بشعره الماجن الأَحنف بن قيس فهو قد يكون أبا المجون فيقول رداً على الأَحنف :

يعيبُ عليَّ الراح من لو يذوقها لجُنَّ بها حتى يُغَيَّـــبُ في القبرِ

وفي موضع اخر يقول :

سأشربُها صهباءَ كالمسكِ ريحها واشربُها في كلِّ نـــــادٍ ومشهد

حارثة جريء في إِعلانه شربه للخمرة وإِنَّه لن يتركها ابداً وهو ليس وحده يشربها علانية , فهو في موقفه هذا يعد صاحب مجون انتشرت في البصرة مع سكوت الولاة

(1) شعراء امويون , 2 / 355 , مهتراً , مولعاً , المنطق : لابس المنطقة ، المروق : المصفى .
(2) ينظر : مجالس الخمر في الشعر الاموي / 65 .

عنه [1] , فحارثة صاحب خمريات كثيرة وكان يرد على لائميه ومعاتبيه دائما ، وإن سبب سكوت الولاة عنه ؛ لأنهم مع خلفائهم كانوا يعاقرون الخمرة فكيف يمنعون غيرهم .

2- النقائض

النقائض ومفردها نقيضة وهي مصطلح أدبي لنمط شعري , نشأ في العصر الاموي , وهي معارك دارت رحاها بين عدد من الشعراء .

جاء في لسان العرب أنَّ النقائض لغة جمع نقيضة من نقضَ البناء إذا هدمه , والحبل إذا حله , وضده الإبرام يكون للحبل العهد , وناقضه مناقضه : خالفه والمناقضة أن يتكلم بما هو ضد معناه , والمناقضة في الشعر أَنْ ينقض الشاعر ما قاله الاول فيجيئ بغير ما قاله , ولذلك قالوا : نقائض جرير والفرزدق [2] .

اما اصطلاحاً فالنقيضة هي اتجاه شاعر ما الى شاعر اخر لألقاء قصيدة فيرد عليه الشاعر الثاني فينقض كلامه بالاسلوب نفسه وهذا النقض يكون نقطة نقطة , سواء كان هجاءً او فخراً أو رثاءً او سياسة وتكون هذه النقيضة ضمن كلام و واسلوب بذيء يغلب عليه طابع الاستهزاء والسخرية وإظهار العداوة وشاعر النقيضة يقف موقفاً راداً على الشاعر الاول وهو خصمه في محاولة منه لدحض رأيه وهجائه , وهذا يكون بداعي الرد والاقحام [3] .

---

(1) ينظر : الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري , د – احمد كمال زكي , دار الفكر , دمشق , د – ط د – ت / 269.

(2) ينظر لسان العرب / نقض .

(3) ينظر : تاريخ المعارضات في الشعر العربي , د – محمد محمود قاسم , دار الفرقان , مؤسسة الرسالة , ط1 , 1983 / 14 – 15 .

كان حارثة بن بدر يعالج في شعره مسائل تعترض حياته , فكان يتعرض لموجات من النقد لتعاطيه الخمرة , وهو كان يتعرض لقصائد أَنس بن زنيم [1] , إذ إنَّ الغداني اتخذَ من الشعر سلاحاً له ليصد به تلك السهام .

إن هذه المناقضات شكلت للغداني جانباً مهماً وبارزاً في حياته وإن قصرت هذه المناقضات , وهذه المناقضات تتولد عند الغداني في لحظة ما وتثير انفعاله موقتاً, وهذا سبب قصر هذه المناقضات والتي كان يلهبها عبيد الله بن زياد , لأَنَّه كان يطلب منهما الرد وبالقوة في بعض الاحيان , وعبيد الله كان يقرب حارثة أَكثر من أَنس وهذا هو سبب الهاب روح المناقضة والخصومة بينهما وزادت من مشاعر الحقد والكراهية بينهما , اما ألفاظ هذه المناقضات لا تبتعد عن اللوم والهجاء [2] .

حارثة الغداني وأَنس بن زنيم كانا في مرحلة ما قد توقفت الحرب بينهما , الى ان جاء سلم بن زياد وأُنتخب من أهل البصرة والكوفة فأرسل سلم الى انس يعرض صحبته , لكن أَنس كتب الى عبيد الله يستشيره في هذا الامر فقال أنس : [3] من الطويل

ألم ترني خيَّرت والامـــرُ واقــعٌ ... فما كنـــت لما قلـــت بالمُتخـــيَّر
رِضاك على شيءٍ سواهُ ومن يكـن ... إذا اختار ذا حزمٍ من الامر يظفـر
فعُدت لترضى عن جهادٍ وصاحـبٍ ... شفـــيقٍ قديم الـــودَّ كان موقَّـــري
على احد الشَّغرين ثـــم تركـــته ... وقد كنت في تأمـــيره غير مُمتري
فأمسكتُ عن سَلْم عناني وصحبتي ... ليعرف وجـــــه العُذِر قبل التعــذر

(1) انس بن زنيم بن عمرو بن عبد الله الكناني الدئلي شاعر من الصحابة , نشأ في الجاهلية ولما ظهر الاسلام هجا النبي (ص) فأهدر دمه , فأسلم يوم الفتح ومدح الرسول (ص) بقصيدة فعفا عنه , عاش الى ايام عبيد الله بن زياد , وكان عبيد الله يحرش بينه وبين بعض الشعراء , معجم الاعلام للزركلي , ج1 / 365 .

(2) ينظر : شعراء امويون ,2 / 331 .

(3) ينظر : الاغاني , 8 /390 .

لما وصلت الى عبيد الله قرأها ودفعها لحارثة , فطلب منه إبن زياد أن يرد على إبن زنيم , فقال حارثة [1] : من الطويل

ألِكني إلى منْ قالَ هذا وقـــلْ لـــهُ كذبـــتَ فما إنْ أنتَ بالمتـــــخيرِ
وإنكَ لو صاحبتَ سلمـــــاً وجـــدتهُ كعهدكِ عهدَ الســـوءِ لم يتغـــيرِ
أتنصح لي يوماً ولســـت بناصـــحٍ لنفـــــسك فاغشُش ما بدالك أو ذرِ
كذبت ولكن أنتَ رهـــنٌ بـــخزيةٍ ويـــومٍ كأيـــامِ عـــــبُوس مُـــذكرِ
كأشقرَ أضحى بينَ رُمحينِ إن مضى علـــــى الرُّمح ينحرُ أو تأخرَ يُعقـرِ

هذه المقطوعة التي قالها حارثة أعجبت إبن زياد فقال عنها ((لعمري لقد اجبته, فعرض إبن زياد المقطوعة على أنس وكان يعتقد بأنَّ إبن زياد هو من كتبها , فأجابه أَنس رد عليَّ من لا استطيع جوابه , وعندما خرج رآه احد اصحابه فقرأ القصيدة فقال له : هذا شعر من قول الغداني)) [2] .

في هذه المناظرة بين الشاعرين والتي ألهبها إبن زياد , يرد حارثة بن بدر على أَنس , بعد أَنْ عرض سلم بن زياد الصحبة للأَخير واراد توليته على احدى الكور , فكتب إبن زنيم هذه القصيدة لعبيد الله بن زياد يطلب منه رأَيهُ , فلما وصلت عبيد الله قرأها وأَمر حارثة بالرد عليه , وفي رده على إبن زنيم يحاول حارثة القفز على حساب إبن زنيم , لينال حظوة عند الأَمير , والأَمر ذاته يريده إبن زنيم, وهذا السباق بينهما اوصلهما لمعركة التناقض والتعارض ونعت احدهما للأخر بصفات كثيرة وهذا الامر أراح إبن زياد , لأَنَّه وجد فيه تسلية له , فالشاعران يتقاتلان بسلاح الشعر والامير يرقص طرباً لهذا السجال وكلاهما يمطر الاخر بأقبح الصفات واشدها .

حارثة في مقطوعته هذه يوجه سلاح الهجاء لأنس , التي أظهر بها عيوب أنس ومساوءه , بعد أَنْ اراد سلم صحبته وحارثة عارضه بشدة واطلق سهامه التي اوجع بها انس بصفات كثيرة ومنها (الكذب والسوء والغش والخزي)

(1) شعراء امويون , 2 / 352 .
(2) الاغاني , 8 / 391 .

في موضع اخر من مواضع التناقض والتعارض بين حارثة وإبن زنيم نجد أنَّ المحرك لهذه المعركة بين الطرفين هو عبيد الله , فتقريبه لحارثة دفع أَنس لعتاب إبن زياد , مما دفع إبن زياد على إجبار الغداني على جوابه [1] , فقال فيه حارثة[2] : من المتقارب

تبدلتُ من أَنـــــسٍ إنَّهُ كـذوبُ المودِة خوَّانُها
أراهُ بصيراً بضرّ الخليلِ وخيرُ الاخلاَّءِ عُورانُها

فأجابه أَنس فقال [3]: من المتقارب

إنَّ الخيانةَ شرُّ الخلـــــيلِ والكــفرُ عندكَ ديــوانـُــها
بُصرتُ بهِ في قديمِ الزمانِ كــما بصرَ العيـــــنِ إنسانُها

فأجابه حارثة بن بدر فقال [4] : من المتقارب

ألكنـــــي إلـــى أنسٍ إنَّهُ عظيمُ الحواشِة عندي مَهيـــبْ
فما أبتغي عثراتِ الخليلِ ولا أبغـــينَ عليــهِ الوثـــوبُ
وما إنْ أرى مالهُ مغنماً من الدهرِ إنْ اعوزتني الكسُوبُ

فقال أَنس [5] : من المتقارب

أحارِ بن بدر وانت امـــرؤٌ لعمـــــري المتاع إلى الحبيبُ
متى كانَ مالك لي مغنـــماً من الدهر إن أعوزتني الكسوبُ
وشرُّ الاخلاءِ عند البـــــلاءِ وعنـــد الرَزيةِ خِل كـــــذوبُ

(1) ينظر : الأغاني , 8 / 388 .
(2) شعراء امويون , 2 / 365 .
(3) الاغاني , 8 / 389 .
(4) شعراء امويون , 2 / 336 .
(5) الاغاني , 8 / 388 .

يستمر حارثة على النمط نفسه في هجائه لإبن زنيم فهو يصفه بأَنَّه الكاذب الناكر للمودة والصحبة فهو في نظره بصير يبحث عن زلات اصحابه ويعطي صفة الخليل والصاحب للذي لا تقع عيناه على خطأ صاحبه .

يرد عليه إبن زنيم بأن ما يسوء ويشوش الصحبة الجيدة هي خيانة الخليل لخليله , فحارثة في نظر إبن زنيم (خائن وكافر) للصداقة وردّ على حارثة بنفس كلامه , فحارثة نعته بالخائن الباحث عن زلات صاحبه فرد عليه إبن زنيم بالمثل.

تبقى المعركة مفتوحة بين الطرفين إذ يردّ عليه حارثة بمقطوعته الثانية , لكنّه يُخفف من حدة وضراوة سلاحه الموجه لخصمه إذْ نعته بصفة القرابة والمهابة , وإنَّه لا يبحث عن أخطاء وزلات صاحبه , وإنَّ أَموال صاحبه هي غنيمة له يستعملها إن اصابه الدهر في ضائقة واشتدت حاجته للمال .

أما إبن زنيم في مقطوعته الاخيرة التي ردّ فيها على حارثة بقي على النمط نفسه في هجومه على حارثة , إذْ يناديه بانك تبحث عن زلات الحبيب , ثم يسأله عن ماله وهل هو في حاجته إن ضاقت عليه الدنيا , وفي الشدائد تبرز الصحبة الجيدة وتمتاز عن السيئة , وفي الافراح نجد هذا الصديق مخادعاً خبيثاً .

في هذه المناظرة القوية بين الطرفين التي اشعلها إبن زياد نجد الشاعرين يمطران بعضيمها بصفات سيئة وهذا ديدن إبن زنيم , إذ استمر من بداية الكلام الى نهايته يهاجي حارثة وينعته بصفات كثيرة اما حارثة فلا يقل شأناً عنه الا إنه في مقطوعته الثانية قد خفف من هجومه على إبن زنيم .

3- المديح

يُعدُّ المديحُ من أهم الاغراض الشعرية منذ القدم , وعني العرب به ((كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك , وصنعت الاطعمة , واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر , كما يصنعن في الاعراس . وتباشر الرجال والولدان لأَنَّه حماية لأعراضهم , وذب عن أحاسبهم , وتخليد لمأثرهم , واشادة

احسابهم بذكرهم)) [1], ويقول ابن رشيق ((إن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل إذا مدح به , مثلما يضع من قدر الشريف اذا أتخذه مكسباً)) [2] .

يعد فن المديح من الفنون الشعرية القديمة التي عرفها الانسان لأَنَّه كان مرتبطاً بأكثر الطقوس التي يمارسها , ولأَنَّه من يوطد العلاقة بين الناس [3] .

المدح أيضاً ((ثناء حسن يرفعه انسان ما الى انسان أخر او جماعة اخرين أحياء , عرفاناً بالجميل , أو طلباً للنوال , او رغبة في الصفح والمغفرة , او أملاً في تحقيق هدف كبير)) [4] .

المدح أيضاً ((هو تعداد لجميل المزايا ووصف للشمائل الكريمة , واظهار للتقدير العظيم , الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا)) [5] , فهو ذكر صفات جميلة وحسنة في الشخص الممدوح وقد يعجب الشاعر بشخص ما فيعبر عن إعجابه بذكره صفات هذا الشخص .

المدح أيضاً هو ((الغرض الثاني من اغراض الشعر الغنائي وفيه يعبر الشاعر عن أعجابه بما في شخص أو جماعة)) [6] .

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده , لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني , تحقيق محمد عبد القادر احمد عطا , دار الكتب العلمية ' بيروت , 2001 , 1 / 70 .

(2) المصدر نفسه , 1 / 46 .

(3) ينظر : تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ، د.نوري حمودي القيسي ، د. عادل جاسم ، د.مصطفى عبد اللطيف ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د– ط ، 1979 /216.

(4) بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي , د – وهب رومية , دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع , دمشق ، د ط , 1997 / 20 .

(5) فن المديح وتطوره في الشعر العربي , أحمد ابو حاقة , منشورات دار الشرق الجديد – بيروت / ط1 ، 1962/ 5 .

(6) الادب , تعريفه – انواعه – مذاهبه , د– انطونيوس بطرس , المؤسسة الحديثة للكتاب , طرابلس , لبنان , ط1 / 35 .

أَما موضوعات قصيدة المدح لشعراء الجيل الاول , فكانت تأتي بحسب أَهميتها وقيمتها من حسن للجوار , والقوة والكرم والنسب , والعفو عن المسيء , وذم الغيبة والنميمة [1] .

عند ظهور الاسلام في حياة الناس , وخروجهم من عبادة الاصنام الوثنية وحياتهم المادية الى التأمل في روح الاسلام وتعاليمه وطقوسه والرجوع في كل شيء الى الله سبحانه وتعالى وكتابه ونبيه (صلى الله عليه وآلهِ وسلم) , وفرض الاسلام أُموراً لم يكن يألفها الناس من صلاة وزكاة وصوم , هذا كله كان من الطبيعي أَنْ يؤثر تأثيراً واضحاً على العرب [2] .

مع مجيء العصر الاموي , اصبح المديح عملاً ومكسباً مدراً للشعراء , وهذا كله بسبب نشوب الحروب السياسية ونشوء الاحزاب وشدة الصراع على الحكم , فلكل حزب شاعر [3] .

كان زعماء الاحزاب يعرفون ما للشعر من عظيم أَثر بالغ في نفوس ومسامع الناس , فأخذوا بالإغداق عليهم من كل انواع الهدايا والهبات [4] , والسبب في هذه العناية ترجع الى إِنهَّم وجدوا في شعراء المديح من يثبتون حكمهم بتأييدهم للسياسة التي ينتهجونها , في وقت هم بحاجة لتأييد الناس .

في العصر الاموي إِزدهر فن المديح , واصبح يحتل منزلة عاليه بين فنون الشعر العربي , لأَنَّه يمثل الدعامة الاساسية لنشوء واستمرار وازدهار كل حزب,

(1) ينظر : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي / 35 .

(2) ينظر : التطور والتجديد في الشعر الاموي / 11 .

(3) ينظر / الادب وتعريفه – انواعه – مذاهبه / 35 .

(4) ينظر : الشعر السياسي من وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى نهاية العصر الاموي , حبيب مغنية , دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر , بيروت , 2009 / 111 .

Abstract

The thesis is specialized with the study of (Harith Bin Badr Al-gdani poetry – artistic and objective study)

The poet died in 64 Hijri . The selection of this poet wasn't futilely because he wasn't from those well – known poets and literature books didn't contain him so we studied him to show his poetic subjects .

The importance of the thesis is latent that he was a poet trying to treat troubles protesting in his life .

The thesis is consist of introduction , prelude , tow chapters and epilogue (conclusion) shows the most important results.

In the Drelude , the researcher dealt with the poet's life.

Parentage , his era and the life effect in developing of the poetry in Al Amawy era , his fluency , eloquence , his place among other notable at that time his death .

The first chapter is specified to objective study which contained two topics , the first topic contained main subjects in his poetry (wine – contrast – praise) while the second topic involved in the secondary subjects in his poetry like (satire – elegy – blame – wisdom – pride – preaching – apology – complain and dispraise).

The second chapter dealt with artistic study of his poetry , it included three topic , the first topic studied the structure of the poem and poetic figure (imagery) . The second topic involved with the music of the poetry (inner and outer) , the last topic specialized with pronunciation and structures . The thesis ended with epilogue in which the researcher concluded that (Haritha Bin Badr) presented various figures in praise , satire and elegy – He didn't care to the introductions of his poems – His language was distinguished with mildness of express , easy ejections , clarity meaning with stuff of fluency and eloquence .